الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف
ميلة
معهد الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات د. مسعود بن ساري

محـاضرات
في تاريخ الأدب العربي القديم

مُعَدّة لطلبة السنة الأولى ماستر؛ تخصص الأدب العربي القديم

إعداد الدكتور: مسعود بن ساري

الموسم الجامعي: 2016-2017

محتوى المادة:

محاضرة		أعمال موجهة
1	مفاهيم أولية (الأدب وعناصره، تاريخ الأدب العربي، فائدته، المقرر، المصادر والمراجع..)	مفاهيم أولية (المقرر، تقسيم الطلبة وتوزيع العروض..)
2	تقسيم تاريخ الأدب	دراسة في خصائص شعر شعراء القبائل
3	نشأة اللغة العربية	دراسة في خصائص شعر الشعراء الصعاليك
4	الأدب وليد البيئة	ترجمة مفصلة لأكثم بن صيفي
5	أحوال العرب (السياسية، الاجتماعية، الثقافية في الجاهلية)	ترجمة مفصلة للحطيئة
6	أغراض الشعر الجاهلي	حالة الأدب في عهد النبوة
7	شعراء جاهليون (امرؤ القيس، الشنفرى)	معركة الهجاء بين قريش والمسلمين
8	فنون النثر الجاهلي	أثر الدين والحضارة على نهضة الشعر في العراق والحجاز في العهد الأموي
9	كتاب جاهليون (قس بن ساعدة، عمرو بن يكرب الزبيدي)	تأثر الشعر في معانيه بالحياة الجديدة في معانيه وأغراضه
10	العوامل المؤثرة في الأدب الإسلامي	خطب الخلفاء الراشدين
11	أغراض الشعر في صدر الإسلام	خطبة الوداع للرسول – ص –
12	شعراء إسلاميون (كعب بن زهير، الخنساء)	أثر الدين في شعر الخنساء وحياتها
13	فنون النثر في صدر الإسلام	شعر حسان بين الجاهلية والإسلام
14	كتاب إسلاميون (عمر بن الخطاب، علي بن أبي طالب)	مختارات من نهج بلاغة الإمام علي – كرم الله وجهه –

محاضرات الدكتور مسعود بن ساري

﴿المحاضرة - 01 - الأولى﴾

مفاهيم أولية

عناصر الدرس

1- الأدب وعناصره
2- تاريخ الأدب
3- فائدته
4- مفردات المادة
5- المصادر والمراجع
6- التقييم

محاضرات الأدب وسعد الدين شاوش

1- الأدب وعناصره:

في الأدب أربعة عناصر أصلية، وما سواها فروع وامتدادات. هناك أولا العناصر التي تقدمها الحياة ذاتها، وهي بمثابة المادة ا لأولى لكل عمل أدبي، سواء أكان قصيدة أم مقالة أم مسرحية أم قصة. ثم هناك العناصر التي يضيفها المؤلف عندما ينقل تلك المادة الأولى إلى أحد أنواع الفن الأدبي. وتقسم تلك العناصر إلى أربعة أقسام: **العنصر العقلي** أي الأفكار التي يأتي بها الكاتب لبناء الموضوع، والتي يعمل على التعبير عنها في عمله الفني؛ ثم **العنصر العاطفي** أي الشعور الذي يثيره الموضوع في نفسه، والذي يحاول أن يثيره في نفس القارئ. ثم **العنصر الخيالي** أي القدرة على النظر إلى الأشياء نظرا قويا وعميقا، بحيث تتمثل له الأشياء في صور وظلال، وبحيث يصبح القارئ ذا قدرة مماثلة على ذلك النظر الممثِّل والمصوِّر. ومتى اجتمعت هذه العناصر قدمت للأدب مادته وحياته. إلا أنّ معطيات التجربة هذه وإن اتسع نطاقها، ومعطيات الفكر والشعور والخيال وغن بلغت من الجدة مبلغا عظيما، لا بد معها للكاتب من عنصر آخر يمكنه من إتمام العمل الأدبي، ومن معالجة العناصر السابقة معالجة ترتيبِ وتهذيبٍ، وفاقا لمبادئ النظام والتناسق والجمال والتأثير. وهذا العنصر الرابع هو **العنصر الفني**، أي عنصر التأليف والأسلوب[1].

2- تاريخ الأدب: عرفه **جرجي زيدان** بقوله: "تاريخ آداب اللغة هو تاريخ علومها أو تاريخ ثمار عقول أبنائها ونتائج قرائحهم، فهو تاريخ الأمة من الوجهة الأدبية والعلمية. ولكل أمة تاريخ عام يشمل النظر في كل أحوالها، ويتفرع إلى تاريخ سياسي، وآخر اقتصادي، وآخر أدبي أو علمي.. والتاريخ الأدبي أو العلمي يبحث في تاريخ الأمة من حيث العلم والأدب، فيدخل فيه النظر فيما ظهر فيها من الشعراء والأدباء والعلماء والحكماء، وما دونوه من ثمار قرائحهم، أو نتاج عقولهم في الكتب، وكيف نتج كل علم وارتقى.

والتاريخ العام إن لم يشمل تاريخ الآداب واللغة والعلوم تعذّر على الباحث الوصول إلى فهم حقيقة التطور والتقهقر. كما ان تاريخ آداب اللغة لا يكون وافيا إن لم يوضح بالتاريخ السياسي. والمحدثون يجعلون البحث في آداب اللغة من أهم وسائل فهم التاريخ السياسي، ويقسمون ذلك التاريخ إلى أطوار على مقتضى ما تقلب عليها من الأحوال الأدبية، ويقيسون ما تبينوه من الأطوار الماضية على ما سيكون. فيتنبأون بمستقبل الأمة متى عرفوا الطور الذي بلغت إليه في أيامهم، يقولون مثلا: إن هذه الأمة في طور الحماسة الشعرية، ثم ما تلبث أن تنتقل إلى العصر الأدبي، ثم العلمي، فالفلسفي.

وعرفه أحمد حسن الزيات: "تاريخ الأدب علم يبحث عن أحوال اللغة، وما أنتجته قرائح أبنائها من بليغ النظم والنثر في مختلف العصور، وعما عرض لهما من أسباب الصعود والهبوط والدثور،

[1]- ينظر: الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، حنا الفاخوري، ص16.

ويعنى بتاريخ النابهين من أهل الكتابة واللسن ونقد مؤلفاتهم وبيان تأثير بعضهم في بعض بالفكرة والصناعة والأسلوب.

ذلك تعريف تاريخ الأدب بمعناه الأخص، أما تعريفه بمعناه الأعم فهو وصف مسلسل مع الزمن لما دوِّن في الكتب وسجل في الصحف ونقش في الأحجار تعبيرا عن عاطفة أو فكرة، أو تعليما لعلم أو فن، أو تخليدا لحادثة أو واقعة. فيدخل فيه ذكر من نبغ من العلماء والحكماء والمؤلفين وبيان مشاربهم ومذاهبهم وتقدير مكانتهم في الفن الذي تعاطوه ليظهر من كل ذلك تقدم العلوم جميعا أو تأخرها.

الدرس الثاني **تقسيمات تاريخ الأدب العربي وعصوره:**

أكثر من أرخوا للأدب العربي قسموه على خمسة عصور أساسية؛ هي: **عصر الجاهلية** أو ما قبل الإسلام، و**العصر الإسلامي** من ظهور الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى سقوط الدولة الأموية سنة 132هـ/ 750م وهو العصر الذي تكونت فيه الدولة العربية وتمت الفتوح الإسلامية. ومن المؤرخين من يقسم هذا العصر قسمين، فهو إلى نهاية عصر الخلفاء الراشدين يسمى عصر صدر الإسلام، وما يليه إلى آخر الدولة الأموية يسمى العصر الأموي. والعصر الثالث هو **عصر العباسيين** أو العصر العباسي: ويستمر إلى سقوط بغداد في يد التتار سنة 656هـ / 1258م. ويقسم بعض المؤرخين هذا العصر قسمين: العصر العباسي الأول ويمتد نحو مائة عام، والعصر العباسي الثاني ويستقل ببقية العصر، ومن المؤرخين من يقسمه ثلاثة أقسام، يبقي فيها على القسم الأول بنفس الاسم، أما العصر العباسي الثاني فيقف به عند سنة 334هـ/ 945م وهي السنة التي استولى فيها بنو بويه على بغداد والتي أصبحت الخلافة العباسية منذ تاريخها اسمية فقط، ويمتد العصر العباسي الثالث إلى استيلاء التتار على بغداد. وقد يقسم بعض المؤرخين هذا العصر العباسي الثالث قسمين؛ فيقف بالقسم الأول عند دخول بعض المؤرخين هذا العباس الثالث قسمين، فيقف بالقسم الأول عند دخول السلاجقة بغداد 447هـ / 1055م ويستقل القسم الثاني أو العصر العباسي الرابع ببقية العصر. وباستيلاء التتار على بغداد يبدأ العصر الرابع ويستمر إلى نزول الحملة الفرنسية بمصر سنة 1213هـ / 1798م.والعصر الرابع هو عصر الضعف والانحطاط، ويسمى أيضا **العصر المملوكي والعثماني**. ثم **العصر الحديث** الذي يمتد إلى أيامنا الحاضرة

منهج المحدثين في تناول تاريخ الأدب العربي[1]:

التزم بعض المؤرخين المعنى العام لكلمة أدب؛ فأرخوا للحياة العقلية والشعورية في الأمة تأريخًا عامًّا، والتزم آخرون المعنى الخاص، فأرخوا للشعراء والكتاب تاريخًا خاصًّا بالأدب ونشأته وتطوره وأهم أعلامه، ولعل أهم من أرخوا لأدبنا بالمعنى الأول بروكلمان في كتابه "تاريخ الأدب العربي" ونسج على منواله جورجي زيدان في كتابه المسمى بـ"تاريخ آداب اللغة العربية". ونراهما يعرضان لتاريخ الحياة الأدبية والعقلية عند العرب في نشأتها وتطورها مع الترجمة للفلاسفة والعلماء من كل صنف، والشعراء والكتاب من كل نوع. ومن غير شك يتقدم بروكلمان جورجي زيدان في هذا الصدد بسبب المادة الغنية التي يحتويها كتابه؛ فقد أحصى إحصاء دقيقًا أدباء العرب وعلماءهم وفلاسفتهم مع ذكر آثارهم المطبوعة والمخطوطة وما كتب عنهم قديمًا وحديثًا؛ مبينًا مناهجهم ومكانتهم في الفن أو العلم الذي حذقوه، مع نبذة عن كل فن وعلم ومدى ما حدث له من تطور ورقي.

ومن أهم من أرخوا لأدبنا بالمعنى الخاص عمر فروخ، وشوقي ضيف، وحنا الفاخوري. وأصحاب هذا النهج يقفون بتاريخ الأدب عند الشعراء والكتاب مفصلين الحديث في شخصياتهم الأدبية، وما أثر فيها من مؤثرات اجتماعية واقتصادية ودينية وسياسية، ومتوسعًين في بيان الاتجاهات والمذاهب الأدبية التي شاعت في كل عصر.. ومن المحقق أن المؤرخ للأدب العربي بمعناه الخاص يأخذ الفرصة

[1]- تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، شوقي.

كاملة كي يؤرخ لهذا الفرع المونق من فروع الأدب بالمعنى العام، وهو الفرع الذي يراعى فيه الجمال الفني والتأثير في ذوق القارئ والسامع، وإثارة ما يمكن أن يثار في نفسيهما من مشاعر وعواطف متباينة؛ فهو يؤرخ للأدب الخالص تاريخًا مفصلًا لا يكتفي فيه بالنبذ الموجزة عن الاتجاهات والفنون الأدبية ولا بالتراجم المجملة عن الشعراء والكتاب على نحو ما يصنع بروكلمان في تاريخه العام؛ بل يكتب في ذلك الفصول الواسعة مطبِّقًا المناهج الحديثة في دراسة الأدب الخالص ومن أنتجوه من الأدباء.

نشأة علم تاريخ الأدب الحديث وتطوره[1]:

يرى كثير من الدارسين أن نشأة تاريخ الأدب في العصر الحديث هي من آثار سيطرة العلوم الطبيعية والتجريبية في القرن الماضي على العقول الغربية.. حيث نادى بعض مؤرخي الأدب هناك بوجوب تطبيق مناهجها وقواعدها على الدراسات الأدبية، وحاول نفر منهم أن يضع للأدب قوانين كقوانين الطبيعة، وتقدم سانت بيف "Sainte-Beuve"[2] يدعو إلى العناية بشخصيات الأدباء وتعقُّب حياتهم المادية والمعنوية ومؤثراتها؛ حتى نتبين ما ينفرد به الأديب وما يشترك فيه مع سواه من الأدباء؛ فإذا تبينا الطرفين أمكن أن نضع الأدباء في فصائل وأسَر على نحو ما يصنع علماء النبات إذ يرتبونه في أنواع وفصائل نباتية مختلفة.

وبالمثل يضع مؤرخو الأدب أصحابه في طبقات وفصائل على أساس ما يقوم بين الأديب وفصيلته من تشابه، وهو تشابه تستخلص منه قوانين الأدب العلمية وما يمتاز به أصحاب كل فصيلة من خصائص وصفات. وتلاه تين "Taine"[3] يقرر أن هناك قوانين ثلاثة يخضع لها الأدب في كل أمة وهي الجنس والزمان والمكان؛ وكأنه أراد أن يحول تاريخ الأدب إلى ضرب من التاريخ الطبيعي؛ فأدباء كل أمة يخضعون لهذه القوانين الثلاثة خضوعًا جبريًّا ملزمًا؛ فلكل جنس خواصه، ولكل زمان أحداثه وظروفه الاقتصادية والسياسية والثقافية، ولكل مكان ميزاته الإقليمية والجغرافية، وتلك هي مؤثرات الأدب؛ بل قوانينه التي تطبع الأدباء بطوابعها الدقيقة.

ولاحظ مؤرخو الأدب ونقاده أنه تجاهل شخصيات الأدباء وفرديتهم ومواهبهم وأصالتهم، ولو أن قوانينه صحيحة؛ لكان كل أديب صورة مطابقة للأدباء الآخرين، ولما تميز أديب عن سواه. والواقع يثبت عكس ذلك فلكل أديب شخصيته التي تجعل منه أديبًا بعينه. له مقوماته.

وبجانب هذين المنهجين في دراسة تاريخ الأدب وجد منهج ثالث عند برونتيير"Brunetiere"[4] الذي فتن بمذهب داروين المعروف في التطور ونشوء الكائنات العضوية وارتقائها، وكان "سبنسر" سبقه إلى نقله من العضويات إلى المعنويات، وطبقه على الأخلاق والاجتماع؛ فحاول هو أن يطبقه على الأدب وفنونه المختلفة، واختار لهذا التطبيق ثلاثة فنون، هي: المسرح والنقد الأدبي والشعر الغنائي، فتتبع كلًّا في نشأته ونموه وتطوره وما عمل فيه من مؤثرات، وذهب إلى أن الفنون الأدبية مثل الكائنات الحية تخضع للتطور، وقد يتولد بعضها من بعض على نحو ما تولد الشعر الغنائي الرومانسي في القرن التاسع عشر من الوعظ الديني الذي شاع بفرنسا في القرن السابع عشر؛ فهذا الشعر لم يتطور عن شعر مماثل له، سبقه؛ وإنما تطور أو تولد عن فن آخر على نحو ما يتطور أو يتولد كائن عضوي من كائن آخر.

---

[1]- تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، شوقي ضيف.

[2] -Charles-Augustin Sainte-Beuve est un critique littéraire et écrivain français, né le 23 décembre 1804 à Boulogne-sur-Mer et mort le 13 octobre 1869 à Paris.

[3] -Hippolyte Adolphe Taine, né à Vouziers le 21 avril 1828 et mort à Paris le 5 mars 1893, est un philosophe et historien français sorti de l'Ecole normale. Né dans une famille drapière des Ardennes plutôt prospère, son père, avocat, son oncle et son grand père l'encouragent à une lecture éclectique et lui offrent des enseignements artistiques et musicaux.

[4] -Ferdinand Vincent-de-Paul Marie Brunetière, né à Toulon le 19 juillet 1849 et mort à Paris le 9 décembre 1906, est un historien de la littérature et critique littéraire français.

وهذه الموجة الحادة التي اندفع خلالها هؤلاء المؤرخون في القرن التاسع عشر يريدون أن يلحقوا تاريخ الأدب بالعلوم الطبيعية ويطبقوا عليه قواعدها لم تلبث أن هدأت في أوائل هذا القرن العشرين بتأثير نمو العلوم الإنسانية؛ فإن هذه العلوم أثبتت أن عالم الإنسان يخضع لقوانين أعمق من القوانين الطبيعية وأن تاريخ الأدب ينبغي أن لا يلحق بالعلوم الطبيعية؛ وإنما يلحق بالدراسات الإنسانية مثل التاريخ والقانون والسياسة وعلمي الاجتماع والنفس. وسرعان ما أخذ مؤرخو الأدب ونقاده يطبقون على الأدب نظريات اللاشعور الفردي وعُقد الجنس ومكبوتاته واللاشعور الجماعي ورواسب الحياة الإنسانية البدائية التي تتجلى في الأساطير وما يتصل بها والعلاقات الاجتماعية والإنتاجية.

فضل العرب القدامى في تاريخ الأدب: الالتفاتة إلى موضوعة الزمكان في الأدب العربي ليست بالغريبة ولا القريبة؛ غير أنها بدأت بسيطة وعفوية ومفرِّقة بين الزمان والمكان، ونلمح بداياتها في كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي؛ ولعلها تتجلى أكثر في كتاب يتيمة الدهر للثعالبي (ت429هـ) الذي وزع فيه الشعراء والأدباء على حسب أقاليمهم ومناطق بلادهم، وكأنه ربط بين الأديب وبيئته برباط وثيق. وقد وزعهم إلى أربعة أقسام، وزعها هي الأخرى إلى عدة أبواب.. ورغم نضج فكرة المكان عند الثعالبي كما تبدو لنا فإن إحسان عباس يستنكر على الثعالبي هذا المفهوم ويزعم قائلا: إنما اعتمد الثعالبي ذلك لأنه وجد التأليف بحسب القسمة الإقليمية أسهل في حصر أسماء المعاصرين له من الشعراء والأدباء ولو كان اختلاف البيئة مقياسه ما جعل شعراء مصر والمغرب والأندلس في قسم واحد [1]

ومن الكتب العربية القديمة التي صنفت على اعتبار الزمان كتاب: "الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة" لابن سعيد الأندلسي (610- 685هـ) حيث عني بالتأريخ لشعراء هذه الفترة. ويجمع أحمد الغبريني (644- 704هـ) بين الزمان والمكان في تأليفه "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"؛ حيث نرى المصنف جسد الزمان والمكان معا، فهو لم يقصد إلا علماء القرن السابع الهجري الذين حلوا ببجاية آنذاك.

3- فائدته: لتاريخ الادب الأثر البالغ في تاريخ الأمة، فإن المحافظة على اللغة وما فيها من ثمار العقل والقلب أحد الأسس التي يبني عليها الشعب وحدته ومجده وفخره. فإذا حرمت شعبا آدابه وعلومه الجليلة الموروثة، فقد قطعت سياق تقاليده الأدبية والقومية، وحرمته قوام خصائصه ونظام وحدته، وقدته إلى العبودية العقلية وهي شر من العبودية السياسية، لأن استعباد الجسم مرض يمكن دواؤه ويرجى شفاؤه، أما استعباد الروح فموت للقومية التي لا يقدر على إحيائها طبيب.

محاضرات الدكتور مسعود بن ساري

[1]- ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس.